

الرأي العام... الظاهرة والاهتمام

Public opinion ... phenomenon and attention

د. بن طرمول عبد العزيز*

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2

تاريخ الارسال: 2018 / 04 / 23 تاريخ القبول: 2019 / 03 / 21 تاريخ النشر: 2019 / 06 / 16

ملخص: كانت وستبقى ظاهرة الرأي العام تشغل بال الدول والمجتمعات والباحثين والمتابعين لها بسبب ما تمثله من وزن وقوة وتحديد مصير الحكم والسلطة. لقد قال أرسطو في شأن هذه الظاهرة أنها عامل تدعيم وتدمير للسلطة بكل ما تحمله من معاني ودلالات. لقد أصبحنا اليوم أمام علم يختص بالرأي العام "الديموسكوبيا" وقياساته واقتربت بسبب الرأي في كل المجالات والتخصصات تحت اسم "الساندومانيا".

كما أن هناك مدارس ومؤسسات ومخابر جعلت من ظاهرة الرأي العام مادتها الأساسية للتعريف والتعمق فيها من كل النواحي والاتجاهات خاصة وأن المجال السياسي والانتخابي وقيادة الدول يحتل الرأي العام الصدارة. فالجماهير والمجتمع المدني والنقابات والمنظمات المهنية المختلفة كلها من صميم ماهية وحقيقة الرأي العام. إن دراسته ومتابعته ارتبطت اليوم بالجانب العلمي والكمي وبمنهجيات وتقنيات جد متطورة لمعرفة اتجاهاته وميولاته واختياراته، إضافة إلى مساعدة علم الاجتماع وعلم النفس على الخصوص والديمغرافيا في الإحاطة به وقياسه وأيضاً التأثير عليه للاستفادة من قوته التي لم يعد فيها شك ..

الكلمات المفتاحية: اتصال - الجماهير - مجتمع مدني - ديموسكوبيا - ساندومانيا

Abstract: The phenomenon of public opinion preoccupies countries, communities, and even researchers because of the weight and strength it represents and the fate of government and power. Aristotle said public opinion is a factor of strengthening and destruction of power; with its connotations.

Today we have become aware of public opinion "demos copy" and measures of his opinion in all fields and disciplines under the name of "Sondomanie".

Schools, institutions and laboratories have made the phenomenon of public opinion a basic subject in all its aspects, tendencies and approaches.

a basic subject in depth in all its aspects and trends and approaches. Civil society, trade unions and professional organizations are at the heart of public opinion. Studies and follow-ups have been related to the scientific and quantitative aspects and methods and techniques of knowledge and understanding, its power, and its influences. a basic subject in depth in all its aspects and trends and approaches.

key words: Communication - the masses - civil society - Demoskopia - Sandomania

* - الباحث المرسل: azizbentarmoul@gmail.com

مقدمة:

موضوع إشكالية الرأي العام في علاقتها مع المحيط الاجتماعي بمفاهيمه المختلفة سيبقى الشغل الشاغل لكل الاهتمامات العلمية والأكاديمية والإستراتيجية لسبب أساسي مباشر هو أن الرأي العام ظاهرة حساسة ومعقدة ومتداخلة.

ونتيجة لذلك نسجل اليوم عبر المجتمعات خاصة بالشمال وجود عناية واهتمام بكل ما يتعلق ويحيط بالرأي العام حيث أنجزت خطوات عملاقة كمية ونوعية كلها ترمي إلى تحديده وضبطه وقياسه كما تقاس درجات الحرارة!

ونستطيع ان نبرز ودون تردد ما تحتله اليوم ظاهرة "الساندومانيا" أو سبر الرأي وسط المجتمعات الحديثة حتى أنها صارت لا تستطيع العيش بدونها مما زاد من أهميتها وضرورتها وحتى حمايتها. ففي ماذا تتمثل هذه التقنية التي التزمت بحركية المجتمعات وتفاعلها مع الواقع الكلي بجزيئاتها المحددة للانطولوجيا الاجتماعية.

وأحسن تعريف يمكننا تقديمه لتقنية سبر الرأي هو ما عبر عنه السيد "تيوني" وهو إداري بمعهد الإحصاء والدراسات الاقتصادية الفرنسية INSEE "أن سبر الرأي وسيلة قاعدية للكشف عن الميزات الغير معروفة لمجموعات معروفة".¹

وفي الوقت نفسه يؤكد على أهمية الإحصاء الذي بدوره لا يوجد السر ، بل الأكثر من ذلك لا معنى للمعرفة الاجتماعية بدون أرقام وإحصائيات وبنك معلومات .وقد أكدت الدراسات العديدة في مختلف التخصصات التي لها علاقة بالفرد والجماعة ما يمكن اعتباره اكتشاف حقيقي منذ مدة مما أعطى لسبر الآراء قوة استخلاص الحقائق الاجتماعية والسياسية والتنموية التي لها علاقة بالواقع الحقيقي لفكرة ومفهوم الحكم والسلطة وكما قال: " JEAN Luc Parodi" فان طبيعة نظام الحكم الرئاسي للجمهورية الفرنسية ساعد إلى حد بعيد في تطوير مجالات سبر الآراء بعكس أنظمة سياسية أخرى². وهذا لا يعني بالنتيجة أن سبر الآراء لم يكن معروفا في المجتمعات الأخرى . فهناك دراسات عديدة وكتابات اعترفت بممارسة الدولة الإسلامية في بدايتها الأولى وخاصة عهد الخلفاء الراشدين لطريقة السبر والاطلاع لمعرفة حقيقة الواقع الاجتماعي والتصوري في تلك الفترة وحتى قبل الإسلام مارست المجتمعات صفات عديدة

¹ Helene.meynaud , Le sondage d'opinion p12-p20.1992

² PARODI Jean Luc la cinquième république et le système majoritaire, thèse sous la direction de RENE Rémond, Paris, institut politique, 1973

تتشابه وتقترب من سبر الآراء الذي نعرفه اليوم. وهذا يؤكد أهمية وممارسة الطبيعة عند الإنسان الذي يبحث دائما عن المعلومات والمعطيات والميزات التي لها علاقة بوجوده ومركزه داخل المجتمع.

ثم إن التفاعلية العامة والخاصة التي تحيط بالعلاقات بين الحاكم والمحكوم هي التي جسدت ذلك الاهتمام المصحوب بالأسئلة المشروعة والمنطقية ودفعت بالمواطن إلى طرحها، فعمليات سبر الآراء بضرورتها وحضورها الواسع اليوم على المستوى العلمي والأكاديمي والعلمي أقنعت المختصين باعتبارها علم وثقافة وفن تؤدي ثلاث وظائف ايجابية يمكن أن نلخصها فيما يلي:

1/ سبر الآراء تسمح للباحث والمتخصص وكذا المؤرخ وببساطة للمواطن بجمع المعلومات حول عقليات الوقت الراهن وفهم وإدراك ميكانيزمات التخطيط السياسي والاجتماعي والثقافي والاستهلاكي والاشهاري وبهذا الصدد صدرت وتصدر في كل مناسبة نتائج وتقارير من وكالات متخصصة في فترة زمنية محددة حول مواضيع لها علاقة بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والمهاجرين والعنصرية وتطور الإيديولوجيات وعالم الاتصال وما يحمله من أسئلة وتصورات ومقاربات .

وبدرجة أولى فإن الدراسات والبحوث الميدانية أكدت أن طبيعة النظام السياسي المطبق يساعد على تكييف القيمة الحقيقية لسبر الآراء التي أصبحت في المجال السياسي المعيار الأساسي والقياسي تطلعا لوضع البرنامج واختبار المترشحين مثلا.

فالأمثلة كثيرة التي تدلنا على ما نقول حيث الأسماء السياسية اللامعة تمكنت من التألق والنجاح بسبب نتائج سبر الرأي واستغلالها.¹

2/ إن أكبر التحقيقات المنشورة تحصر سبر الآراء بين المفهوم العام والمفهوم الخاص حيث تستغل نتائجها من قبل القيادات الحزبية والحكومات لتحضير القرارات وتوضيح وتأسيس الاختيار الاستراتيجي فلا يمكننا تصور المجتمع بدون معرفة الآراء وتوجهات الرأي العام وشعبية الحاكم وعلاقات القوات الانتخابية.

ولتأكيد ذلك لنا في الدعايات والإشاعات التي صاحبت الرئاسيات الفرنسية في العديد من المناسبات المثال الواضح في التهدة للأوضاع التي لعبتها سبر الآراء للمعهد الفرنسي للرأي العام IFOP.²

¹ HELENE y.meynaud . DENIS Duclos . «Les sondages d'opinions p12_p20 ».1999

² Revue le point du 5 novembre 1984

3/مساهمة عمليات سبر الآراء في تحديد موجات التشكيك والتأويل والتغليب حيث لنا أمثلة كثيرة سجلت أهميتها في هذا المعنى الذي تترتب عليه نتائج جد هامة ومصيرية . فقضية كاليدونيا الجديدة وكذا القضية الجزائرية أجريت لهما سبر للرأي وسط الرأي العام بخصوص حقيقة تقرير المصير أو الاستقلال.¹

ونستطيع أن نقول في خلاصة مباشرة انه إذا كانت "الساندومانيا" تخرج في كثير من اللحظات فان لها أسباب عميقة للوجود وكذا لفوائدها الكثيرة فقد أصبحت تلائم وتلازم الأوضاع العامة للمجتمعات ولا يمكن لأحد أن يتجاهلها فهي ترمز إلى الميكانيزم الديمقراطي للدول المتحضرة وكما قال جون ماري كولومباني JEAN Marie Colombanie الذي كان مسؤولا عن الدائرة السياسية في جريدة LeMonde الفرنسية فان سبر الآراء وسيلة وإدارة للمعرفة السياسية التي تنجز وتصنع الاقتصاد²

اهتمام متزايد ومركز بالرأي العام في كل المجالات:

تؤكد الدراسات الخاصة والبرامج التعليمية والأكاديمية المتعلقة بالبحوث الأهمية التي أصبح يحتلها الرأي العام وسط التحولات والتفاعلات التي تميز المجتمعات والتأكيد على العلاقة بينه وبين السلطة والحكم. فهذا الاهتمام الذي أخذ أبعادا كبرى في حياتنا اليوم دفع بكل الدول والحكومات والمؤسسات إلى تخصيص مجالات ومساحات للمعرفة والبحث في الرأي العام انطلاقا من مقولة "ميكافيلي" مؤسس الدولة الايطالية:

« C'est le peuple qu'il importe de mériter l'affection, car il est le plus fort et le plus

puissant "الشعب هو الذي يستحق العطف لأنه هو الأعظم وهو الأقوى"³

فكثيرة هي النظريات والأفكار والأطروحات التي أكدت على وجود قوة سياسية تسمى الرأي العام. وقليلون هم الذين ينكرون وجودها وان كانوا يعترفون ضمينا بدورها وأثرها. فالعصر الحديث فرض على كل المجتمعات واقع الرأي العام في وجوده وتكوينه وتخصبه وتوقعاته. فأصبح هناك مدارس ومعاهد ومخابر وبرامج خاصة بالرأي العام من وجهة نظر كل متخصص مثل السياسة والاجتماع والاقتصاد والاستهلاك والاتصال والإعلام ...

¹ القضية الجزائرية تعرضت إلى حملات من التغليب والتأويل مما دفع بالحكومة الفرنسية إلى إجراء عدة عمليات للسبر أجرتها الوكالات المتخصصة كلها استخلصت النتيجة التي تؤكد ارتباط الجزائريين بالاستقلال في عام 1962

² [https://w.w.w.paroles.de.corse.fr/JEAN Marie Colombanie —d'un-monde-a-l'autre/](https://w.w.w.paroles.de.corse.fr/JEAN%20MARIE%20Colombanie%20-%20d'un-monde-a-l'autre/)

³ نيكولا ميكافيلي -الأمير - مؤسسة أقرأ-مكتبة الفنون والآداب -2003ص122

فالرأي العام أصبحت له صفة ومن أهمها الصفة البسيكو-اجتماعية المرتبطة بالاتصال والإعلام حيث أكدت الدراسات العديدة والمستمرة وجود صلة مباشرة ومتفاعلة مع الرأي العام الذي يحكم فعلا اليوم المجتمعات الصناعية الحديثة. ففكرة المجتمع المدني مثلا في تطويرها ونموها ومركزها ودورها هي الآن مرتبطة بالرأي العام أكثر من السلطة¹. فإذا كانت القوة السياسية للرأي العام معترف بها، فمن الأولى رفع الغموض المضروب على الرأي العام الذي أخذ معاني كثيرة ومتنوعة ارتبطت بمعنى العام الذي يعبر عن الجماهير والشعب وحسب "DICEY" فان الرأي العام مرتبط بمعنى العام في فترة معينة تعبر عن هذا الرأي السائد. فالأمر يتعلق في هذه الحالة بوجود نظام عام للقيم يجمع الجميع. وهناك من يقول وعلى رأسهم "ALBIG" أن الرأي العام هو التعبير حول نقطة خلاف "Point Controversé". فالرأي يظهر حسبه عندما يكون هناك رأي مخالف أو نزاع. فالصفة البسيكو-اجتماعية متجذرة في العمق المعنوي لمجموعات الأفراد، وأن الرأي العام يتأسس من مواقف الناس المجتمعين في جماعات حول موضوع رئيسي².

إن الاهتمام والانشغال بالرأي العام لدرجة الظاهرة ارتبط بشروط الأمن والحرية في التعبير بالنسبة له عكس الخارجي الذي يقتزن بالنقاشات العامة وعليه لا يمكننا اعتبار الرأي العام جمع للأراء الانفرادية. فالفرد ليس الشيء الذي نتعامل معه مثل الحجر نضيفه حيث نشاء فهو يتمتع بموقع اجتماعي وسط هيكلي له علاقات اجتماعية واتصالية ترتبط بخصائص كالسن والجنس والديانة والمهنة. فالأفراد مقتنعون بالأراء ومبادئ ومفاهيم لا نستطيع تغييرها بسهولة كما يتصور للبعض.

إن الرأي العام أو أراء مختلف الناس أو الجماهير اهتمت بها الكثير من الدراسات خاصة الأمريكية التي أعطتها ما يستحق من خلال الفهم التاريخي والاجتماعي والوجودي للمجتمع وهي اليوم تعتمد أكثر على علم الرأي العام في فهم السلوكات والاتجاهات وبناء التوقعات.

نفس الانشغال تعيشه المدرسة الفرنسية بصفة خاصة في مرجعية ثورة 1789 التي أسست للعلاقة الإستراتيجية لحرية التعبير حتى القرن 18 الذي تميز بحالة تحتاج إلى الذكر تتمثل في موقع المثقفين الفرنسيين بغرض مواقفهم من منطلق جلب الانتباه لهم.

¹ هذه الصلة أكدها ودرسها الأستاذ عبد الله حمودي مدير الدراسات عبر الإقليم بجامعة برينستون الأمريكية

² William Albig- public opinion- first edition. Minth Impression newy.work 1939-p132

فاليوم نلاحظ المركز المرموق الذي تحتله دراسات الرأي العام وهي تحتل صدارة علوم عديدة كالعلوم السياسية وعلم الاجتماع في نظريتهما الحديثة والإعلام والاتصال وعلم اجتماع الانتخابات والأحزاب وغيرها التي صارت كلها تجلب إليها الباحثين حيث "La doxométrie" وهي الدراسة العلمية وتقنيات القياس والديموسكوبي "Démoscopia" استفتاء الرأي العام وكذا الساندومانيا "Sondomanie" كلها علوم همها الرئيسي الاهتمام بالرأي العام في اتجاهاته وتنوعه من مصدره وفضائه الاجتماعي Social.

فمؤسسة "IFOP" المدرسة الفرنسية للرأي العام التي تأسست عام 1938 تعتبر نموذجاً مثلها معهد "DOXA" الإيطالي و "GALLUP" الانجلوسكسوني مما جعل تعريفات الرأي العام تتنوع وتكثر حول تحديد مفهومه ، لكنها كلها تصب في التعريف الذي سبق ذكره والخاص بأرسطو. فأنظمة الحكم في الديمقراطيات الكلاسيكية أو الحسابة والتقنية كما يسميها "ماكس فيبر" يبقى فيها الرأي العام المحور الأساسي والشغل الشاغل الذي يؤسس قناعتها ويجيز تساؤلاتها حول موقف وتصورات للرأي العام. هذا الأخير يحتل الصدارة في فهم وتحليل وتوظيف معانيه وتفسيراته في مختلف الدراسات بمضامينها المختلفة الاجتماعية عن طريق علم اجتماع الرأي العام Sociologie de l'opinion public في المجالات السياسية والاقتصادية والاستهلاكية والإعلامية الاتصالية والثقافية والأمنية مثلما يجري الآن منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 . فالملاحظة الدائمة للرأي العام ¹ . فرضت على الباحثين والمهتمين وحتى المسؤولين وعلى رأسهم السياسيين التركيز على النقاط التالية:

- 1/ البحث في تنظيم الرأي العام Organisation
- 2/ القياس الكمي لتوزيع الرأي العام Distribution
- 3/ وصف وتحليل الرأي العام في دوره الوظيفي السياسي والرقابي الاجتماعي Analyse
- 4/ البحث والتحقيق من وسائل الإعلام الجماهيرية التي لها علاقة بنشر المعلومات لتوجيه الرأي العام Orientation، وهذه المهمات Missions الجدة متخصصة والمطلوبة باستمرار ودقة تتطلب

¹ Riffault helen . L'IFOP . in science et Théorie de l'opinion publique _ hommage à jean stoertzel 1981

إمكانيات واستعدادات واطلاعات وبرامج عمل امبريقية وعملية ومنهجية¹. متطلعة للأحسن من منطلق تحديد الهدف وتقليص المساحات من منظور تقليص الأخطاء.

فالمؤسسات والوكالات والمخابر ومراكز البحث كلها تركز في نشاطها ومحاولاتها العلمية والأكاديمية والمهنية على:

-دراسة اتجاهات الرأي العام بما لهذه النقطة من أهمية وموقع وعلاقة بالواقع والتموقع .

-الاستقصاء بتوجيه أسئلة مكتوبة خاصة إلى مجموعات متنوعة.

-الدراسة الإحصائية والاستفادة منها.

-المناظرات والمناقشات.

-مقاييس وجهات النظر لمعرفة درجة الفعل والتفاعل لكل رأي عام.

لم تعد الدراسات والاهتمامات العلمية والعملية بالرأي العام محصورة ومحددة النطاق والمجال فهي اليوم تخص كل الميادين والتخصصات مثلما تشهد وتؤكد عليه التقارير الأكاديمية وحصيلتها ما وصلت إليه المعرفة العامة والخاصة لظاهرة الرأي العام.

فالفكرة أصلا في موضوع الرأي العام تستعمل للدلالة على تجميع آراء الناس بشأن المسائل والمواضيع التي تهم المجتمع، وأن الإعلان عنها هو الأهم للدلالة على وجود رأي عام. فالتصريح به عن طريق هيئات والوسائل المختلفة للإعلام والاتصال يسمح بإضفاء صبغة الشرعية عليه. وانطلاقا من المقولة المعتبرة للسوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو "PIERRE Bourdieu" أن الحقائق الأولى هي الأغلاط الأولى. "les vérités premières sont des erreurs premières". فان الرأي العام كظاهرة وحقيقة اجتماعية وسياسية واقتصادية مرتبط بعامل السيادة الذي تتفق عليه أهمية وأحقية هذا الرأي في الحفاظ على النظام العام وعليه فان العالم "Walter Lippmann" يقترح في حالة ظهور أزمة عدم تكافؤ في العلاقات الاجتماعية الرجوع إلى الرأي العام لإزالة العواقب والحواجز أمام حل وليس لطرحه².

¹ Madelaine Granwitz _ méthodes des sciences sociales 6eme édition p _ 121

² Walter lippman « public opinion » p14 cité par t. anderson . P596

فدور الرأي العام داخل نظام سياسي ديمقراطي يختلف حسب النموذج للحكم بالأغلبية أو التعددية وهو ما يعني أن الرأي العام يتكون من تنوع للآراء العامة التي تختلف في الرأي والموقف والتصور للحلول والاقتراحات في مواجهة الإشكاليات العديدة للمجتمع.

سماع الرأي .. حتمية المرحلة الجديدة:

الملفت للانتباه في المجتمعات اليوم هو درجة الوعي المتصاعد لدى الحكام والحكومات بظاهرة الرأي العام في كل معانيها وأبعادها وتأثيراتها المباشرة والغير مباشرة على الحياة العامة. فمنهجية وتقنية سبر الآراء "Sondage" تعتبر اليوم ومنذ ان ظهرت جوابا للفكرة العامة للعلوم وهي في نفس الوقت تعطينا جوابا لأسئلة المجتمع بمختلف شرائحه على كافة المستويات. فنتائجها تكون سهلة الفهم ومعبرة يمكن لأي منا تحليلها على مستواه، لكنها قد تثير الإشكال والغموض كما أشرنا سابقا عند "بيار بورديو" وهو يؤسس الأغلاط الأولى على الحقائق الأولى، وقد صارت نقاشات وتساؤلات واسعة وجوهرية حول مستقبل الساندومانيا ومصداقيتها وأحقيتها في دراسة ومتابعة الرأي العام.

فالأخطاء التي سقطت فيها نتائج سبر الآراء في الحالة الأمريكية في الانتخابات لسنة (2016) طرحت سؤالاً مهماً وسط أهل الاختصاص يتمحور حول حقيقة الخطأ العام، وما هي أسبابه، وهل مرتبط بالخطأ في العينة أو الخطأ في القياسي "Erreur de mesure ou erreur d'échantillons". فقد أسال هذا التساؤل الكثير من الخبر في مجال تقدير الخطأ وأثره على الاتجاه العام السياسي للدولة والمجتمع¹. فقد اعتبر عدد من المختصين في دراسة سبر الرأي العام الحالة الاستثنائية وهم يتابعونها ويحللون نتائجها للتدقيق في سبب الخطأ².

فاليوم أخذت ظاهرة الساندومانيا "Sondomanie" مركزها المعترف المدعوم بالتجربة التي ارتبطت بالمنهج والتقنيات الحديثة في دراسة الرأي العام ومعرفة اتجاهاته ونواياه في مجالات عديدة بطابعها ومضمونها السياسي، والاجتماعي، والاستهلاكي، وكل ما يصنع ويجسد الحدث "L'évènement". فالرأي العام الذي احتل الاهتمام الأكاديمي والعلمي منذ فترة طويلة أصبحت له نظرياته وتوجهاته الفلسفية وكذا تقنياته ومنهجاته المختلفة. ومن ثم اقتنعت الدول بإنشاء

¹ في تقرير سبر الآراء التي تكلفت بالانتخابات الرئاسية في عام 1995 فان درجة الخطأ فاقت الحد الأدنى الذي يتجاوز 4 بالمائة

² من الأسماء المعروفة التي اهتمت بذلك: jaffree_PIERRE giacometti _ STEPHAN vacher

المراكز والمعاهد العلمية المستقلة لدراسة وقياس الرأي العام، كما بدأت كافة الحكومات والتنظيمات السياسية والأحزاب والشركات الكبرى تهتم به في اتجاهاته وتخصصاته المختلفة التي تنوعت وتوزعت على كافة المجالات. كما أن كافة المنظمات الدولية والإقليمية والوطنية وأجهزة الحكم المحلي في صيغته المتقدمة كلها تستأثر باهتمامها المستمر والمحوري بالرأي العام من أجل التوصل إلى حقيقته وماهيته المادية والمعنوية، ومن ثم الاعتماد على النتائج في صياغة الأحكام والقرارات وسن القوانين والإجراءات التنظيمية المختلفة التي تتحكم في الحياة العامة ومحيطها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتنموي.

فالرأي العام الذي تناولته دراسات عديدة وتبنته المدارس العديدة المتخصصة وكما سبق أن أشرنا صارت ظاهرة بكل ما يدل عليه هذا المفهوم من الناحية السوسيولوجية الظاهرية وما تفرضه علينا من حرص واهتمام وتتبع لفهمها والاحاطة بها. فالرقابة العلانية صارت هي المسيطرة على الحياة العامة والخاصة. فالموافق الفكرية والعلمية من كل هذا يمكن تلخيصها بين نظرتين أساسيتين هما:

- نظرة تفاؤل تناولها "أماتاي أتزوني" ETZIONI¹ في كتابه الذي ما يزال يحتل صدارة الاهتمام بما طرحه من أفكار والتي ذهب بها إلى أن الموقف الراهن يسمح بتطوير فكر عقلاني أصيل وأن المكونات المختلفة للمجتمع تتكامل تكاملا عقلانيا على أساس الدراسة العلمية والخبرة وهو يعتقد ان الاتجاه نحو الضبط العقلاني سوف يكون مصحوبا بالتوسع في نطاق مشاركة الناس في الحياة السياسية والاجتماعية.

- نظرة تشاؤم التي دافع عنها "دانيال بال" في كتابه عن المجتمعات الصناعية وما تعيشه من تناقضات كلما تطور وتعاضل البناء الاجتماعي البيروقراطي التكنوقراطي وذلك بسبب دخول هذا البناء في صراع مع اتجاه الناس ورغبتهم في المشاركة الواسعة في النظام السياسي. وقبل هذا سبق لماكس فيبر "Weber MAX" أن تنبأ إلى واقع العقلانية بالمعنى التنظيمي الدقيق للحياة الاجتماعية حيث يأخذ التحليل العلمي والبرمجة مركزا مهما وحساسا. وكما يقول "NICHOLAS" Negroponte فالحدود بين الرغبة والواجب يتلاءمان مع الراهن الجديد.

¹ أماتان اتزوني، المجتمع النشط، 1968، ص: 36

"La frontière entre le plaisir et le devoir va s'estomper sans l'effet d'un détonateur commun "

إن التطور السريع والنوعي للوجود الاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي ساهم إلى حد بعيد في بلورة فضاء الرأي العام مما دفع بالمختصين والاكاديميين والوكالات المعنية بالدراسات إلى اعتبار الموضوع رقم واحد الذي تقع على عاتقه تبعات ممارسة الحكم في كل أبعاده وأفاقه.

وعليه بدأت تدرك المجتمعات الأهمية والأحقية التي ينبغي إعطاؤها للموضوع الذي يسيطر على الإشكال الحقيقي الذي تحدده كل أشكال الحكم كما أن مرحلة التحولات التي ميزت العالم في السنوات الأخيرة وهي تسيطر على مجالات الاتصال والعلاقات العامة.

الرأي العام بالجزائر.. صعوبات في تحديد مضامينه: تبقى ظاهرة الرأي العام ببلادنا من الإشكالات المطروحة بالنظر إلى صعوبة إيجاد المقاربات التي تمكننا من ضبطها وتحديد معالمها ضمن المشروع السياسي والمؤسساتي للدولة الجزائرية وعبر المرجعيات الدستورية والقانونية .

فالتأسيس التحليلي الاجتماعي ينبغي أن يكون وفق التصورات النظرية التي يحملها الباحث إضافة إلى الاتجاه السوسيولوجي الكلي والجزئي في دراسة المجتمع خاصة في معرفة وتفكيك ظاهرة الرأي العام.

فجزائر 1963 ليست جزائر 1976 ولا جزائر اليوم في ظل تحولات نوعية كبرى ميزت الدينامكية الاجتماعية السياسية للمجتمع المدني، وما يحيط به من الخارج. فالمقاربة الماكرو-سوسيولوجية وكذا الميكرو-سوسيولوجية تفرض نفسها إضافة إلى التفسير والتحليل العلمي لواقع الرأي العام سيمنحننا الفرصة للتأكد من وجوده ودوره وأهميته الانتخابية والتشاركية بما يسمح به الدستور .

كثيرون حاولوا دراسة الرأي العام الجزائري عبر المراحل المختلفة للحكم ببلادنا اعتبروه الحلقة الضعيفة في معادلة الحاكم بالمحكوم، وأن النظام السياسي يمارس حق الوصاية على مكونات الرأي العام مما يعطي انطبعا بأنه لا يرى فيها قوة اسمها الرأي العام.

ونحن نعلم أن الرأي العام سيبقى دوما اهتمام المجتمعات الديمقراطية لأنه هو أساس التفاعل وإنتاج أنظمة الحكم التي تتسارع عليها الأحزاب المختلفة وامتداداتها عبر المكونات الاقتصادية والمادية والإعلامية والنقابية وكل ما له علاقة بممارسة الحكم.

إن علاقة التفاعل والتشارك بين السلطة والرأي العام لا بد أن تتوفر على ادني شروط التناغم وخاصة عبر الفضاءات التمثيلية والانتخابية التي تمثل الأغلبية الحاكمة.

فالرأي العام هو نتيجة تكوينية وتأسيسية تشارك فيها عدة عوامل محيطة به وتتأثر به كالإعلام والحركات الجمعوية والخطابات المختلفة التي يتفاعل معها في الأيام العادية والمناسبات المختلفة. فالرأي العام بالدول والمجتمعات الحديثة مطالب بالمشاركة في اتخاذ القرارات الكبرى عبر القنوات العديدة وبالوسائل الدستورية الديمقراطية كالاستفتاء مثلا، والانتخابات، والمشاركة في إعداد البرامج والمخططات.

ورغم الإشارة إلى الرأي العام كمصطلح ومفهوم واتجاهات من خلال الدستور الجزائري وقانون الإعلام إلا أن التأكيد على دوره وحجمه وتبلوره يجعل بالصعوبة القول إننا نتمتع برأي عام يمكن قياسه ومتابعته والاعتماد عليه في سبر الآراء، وضمن ديناميكية الساندومانيا التي تتميز بها الدول الحديثة. وحتى قانون ابريل 1990 المتعلق بالإعلام والمعدل وقانون 15 يناير 2012 الخاص بالإعلام والسايري المفعول لم يتطرقا بأهمية ووضوح إلى موضوع الرأي العام كظاهرة مهمة ومؤثرة بمختلف الصفات على الحياة السياسية والثقافية والتنمية بالبلد، مما يدفع بالدولة الجزائرية إلى منحه الأهمية التي يستحقها وتخصيص قانون خاص به ومرصد لدراسته ومتابعته لأنه عامل تدمير أو تأييد للسلطة كما قال أرسطو¹.

هناك محاولات ومقاربات للإلمام والتعريف بالرأي العام واتجاهاته العديدة التي تمس كل القطاعات لكنها تبقى في رأينا محدودة ببلادنا رغم اعتراف الدستور الجزائري به كقوة أساسية ومحورية في تحديد مسار طبيعته النظامية في إطار التفاعل والتنافس التعددي.

ومن خلال الاطلاع والبحث عن موقع ودور الرأي العام ببلادنا، وهل فعلا يمكن الاعتماد عليه في تقرير مصير المناسبات السياسية والانتخابية أكد المختصون والمهتمون أننا مازلنا بعيدين عن الرؤية الواجبة تجاه "الظاهرة الإشكال" التي تتصور علاقتها بالسلطة لأنه بكل بساطة هو أساس السيادة الشعبية التي تحدد مصير السلطة والحكم.

فاليوم الأزمات بداخل الكثير من الأنظمة السياسية بالعالم إنما هي في تحديد العلاقة بين السلطة والرأي العام الذي لا تفارقه الساندومانيا لمعرفة مواقفه وقياس درجة الإيجابية وكذا السلبية ومن ثم البحث عن الأسباب التي أدت الى ذلك.

¹ الفريد سوفي، الرأي العام، ترجمة كامل عباد، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1990، ص: 11

اليوم علم الرأي العام "Demoscopy" يواصل التطور والتشخيص وانجاز النظريات العلمية المؤكدة للفرضيات التي تعتبر الرأي العام عامل حيوي وأساسي في ديمقراطية المجتمع وإشراك الجميع في مشاريع بناء الدولة والمجتمعات التي تليق بالطموحات والتطلعات وخدمة الإنسان وبناء المواطنة.

وفي إطار الإحاطة بظاهرة الرأي العام وما يحيط بها من اهتمام ومتابعة ودراسة علمية كما سبق أن اشرنا فإنها مادة علمية جد متطورة ضمن ما يعرف بسوسيولوجية الرأي العام. فان هناك مراكز ومخابر ومؤسسات وجامعات تخصصت في هذه المادة من الجانب الكمي والنوعي والاستشرافي ضمن كل الاتجاهات للرأي العام. معهد غالوب GALLUP والمؤسسة الفرنسية للرأي العام IFOP والمرصد الأوروبي وكذا الدولي للرأي العام إضافة إلى مراكز أمريكية تخصصت في الموضوع بل تجاوزت ذلك بالاهتمام أيضا بالرأي العام بمختلف دول العالم بما فيها العربية والإسلامية من حيث الطبيعة السياسية والمؤسسية والتطور والتفاعل ومكونات الآراء .

فالرأي العام ارتبط كذلك بمفهوم "الجماهير" MASS خاصة وأن مستويات الاتصال والإعلام على طريقة "ماكاي" MC.QUAIL إنما هي من منطلق مجموعة التي تصنع وتبني الاتصال الذي يربط السلطة بالجماهير وكل مكونات الرأي العام¹.

وهكذا يمكن اعتبار الجزائر من ضمن المنظورات السلطوية الكلية الشمولية التي تتعامل مع جماهير صنعتها وتتفاعل معها ضمن أجندة انتخابية أو مناسباتية تخدم مصالح من يحكمون ويؤدون مهام الدولة رغم أن دستور 1989 النوعي اعترف بالتعددية السياسية والحزبية والنقابية والاجتماعية المدنية مما يتطلب تكوين رأي عام جزائري.

وهنا يبقى السؤال مطروحا إلى اليوم حول حقيقة وماهية وجود أو عدم وجود رأي عام جزائري حر مستقل وواعي ومسؤول رغم توفر الشروط القانونية التي تسمح بذلك، أم أن لأمر هو بنائي وظيفي تبنيه الحركية الاجتماعية بتفاصيلها وسط تفاعلات التي تتقدمها الأزمات والتحديات السابقة والمرتبقة.

المراجع:

1-Helene.meynaud , Le sondage d'opinion p12-p20.1992

¹ أحمد كمال أحمد. "العلاقات العامة". مكتبة الحداثة 1973. ص 222 و223

2-PARODI Jean Luc la cinquième république et le système majoritaire, thèse sous la direction de RENE Rémond, Paris, institut politique, 1973

3-HELENE y.meynaud . DENIS Duclos . « Les sondages d'opinions p12_p20 ».1999

4- Revue le point du 5 novembre 1984

القضية الجزائرية تعرضت إلى حملات من التغليب والتأويل مما دفع بالحكومة الفرنسية إلى إجراء عدة عمليات للسبر أجرتها الوكالات-5 المتخصصة كلها استخلصت النتيجة التي تؤكد ارتباط الجزائريين بالاستقلال في عام 1962

6-<https://w.w.w. paroles de corse. Fr/> JEAN MARIE Colombanie –d'un-monde-a-l'autre/

7-نيكولا مكيافيلي-الأمير – مؤسسة اقرأ-مكتبة الفنون والآداب –2003ص122

8-هذه الصلة أكدها ودرسها الأستاذ عبد الله حمودي مدير الدراسات عبر الإقليم بجامعة برينستون الأمريكية

9-William Albig- public opinion- first edition. Minth Impression newy.work 1939-p132

10-Riffault helen . L'IFOP .in science et Théorie de l'opinion publique _ hommage à jean stoertzel 1981

11-Madelaine Granwitz _ méthodes des sciences sociales 6eme édition p _ 121

12-Walter lippman « public opinion » p14 cité par t. anderson . P596

13-في تقرير سبر الآراء التي تكلفت بالانتخابات الرئاسية في عام 1995 فان درجة الخطأ فاقت الحد الأدنى الذي يتجاوز 4 بالمائة--

14-من الأسماء المعروفة التي اهتمت بذلك STEPHAN _PIERRE giacometti _ jaffree :vacher

15- أمانان اتزيوني - المجتمع النشط- ص 136 - ط 1968 -

16-الفريد سوفي، الرأي العام، ترجمة كامل عياد، ص 11، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1990

17-أحمد كمال أحمد. "العلاقات العامة". مكتبة الحداثة 1973. ص 222 و223

